المحاضرة الخامسة: الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م.

تمهيد:

إن المتمعن في تاريخ فرنسا خلال القرن التاسع عشر، يبدو له جليا أن مشروع احتلالها للجزائر قد أعد له مسبقا حسب خطط متدرجة، ولكن الظروف لم تسمح بتنفيذها إلا عام 1830م، فإعلان الحرب على الجزائر من طرف فرنسا لم يكن مجرد انتقام لإهانة قنصلها، وإنما كان وراءه مجموعة من الدوافع الخفية على مختلف الأصعدة

أولا: الدوافع الحقيقية للاحتلال الفرنسي للجزائر

أ- الدوافع السياسية:

- تطلع فرنسا إلى التعويض ما فقدته من مستعمرات ومراكز في أمريكا الشمالية والهند وغرب إفريقيا (السنغال) عقب حرب السنوات السبع (1756 - 1763) ضد بريطانيا، وكذلك بعض الأراضي في أوروبا بعد حروب نابليون.
- سعي حكومة شارل العاشر إلى إلهاء الرأي العام الفرنسي عن مشاكل فرنسا الداخلية بقضية خارجية وتحقيق نصر سياسي، لذلك سعت إلى توتير العلاقات مع الجزائر لاختلاق ذريعة لغزوها، وأوعزت إلى قنصلها بالجزائر بالسعي إلى إفساد العلاقات مع حكومة الداي، لتقدم على عمل قد يتيح لها مبرراً للعدوان.
- ضعف قوة الجزائر العسكرية، خاصة بعد تحطّم الأسطول الجزائري في معركة نافارين عام1827م.

ب- الدوافع الاقتصادية:

- تطلع فرنسا إلى ثروات الجزائر الزراعية والمعدنية وأسواقها التجارية، خاصة بعد انطلاق ثورتها الصناعية عام 1825م، وذلك ما يستشف مما ورد في تقرير وزير الحرب الفرنسي الجنرال كليرمون تونير إلى شارل العاشر في سبتمبر 1827: " ... توجد مراسي عديدة على السواحل الجزائرية الطويلة التي يعتبر الاستيلاء عليها مفيداً لفرنسا، وتحوي أراضي الجزائر مناجم غنية بالحديد والرصاص، وتزخر بكميات هائلة من الملح والبارود... وإلى جانب كل هذه الثروات، توجد الكنوز المكدسة في قصر الداي، وتفوق قيمتها 150 مليون فرنك..".
- رغبة فرنسا بالاستيلاء على خزائن القصبة، والتي قدر الفرنسيون محتوياتها بعد الاحتلال بـ 48.7 مليون فرنك

– التخلص من تسديد ديونها المتبقية للجزائر، وهو ما عرف بقضية التاجران اليهوديان بكري وبوشناق اللذان كانا بمثابة الوسيط بين فرنسا والجزائر في شراء القمح، حيث يقومان بدفع مستحقات ما اشترته فرنسا من الجزائر نيابة عنها، وعندما قام الداي حسين بالمطالبة بثمن القمح اتفق دوفال مع التاجرين على إيقاف تسديد ديون الجزائر.

ج –الدوافع الدينية:

– محاولة رد الاعتبار للمسيحية وإنقاذ المسيحيين من أيدي القراصنة الجزائريين، ففرنسا لطالما اعتبرت نفسها حامية الكاثوليكية .

– عزم فرنسا لاستعادة مجد روما والكنيسة المسيحية الضائع في افريقيا، في هذا الصدد تجهزت الحملة العسكرية الفرنسية بحوالي 60 قسيسا وقد صرح القائد دي برمون بقوله: "إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في افريقيا ..." من ذلك أيضا تعبير وزير الحرب كليرمون تونير 1827 عن آماله في تنصير الجزائر بقوله: "يمكننا في المستقبل أن نكون سعداء ونحن نمدن الجزائريين أن نجعلهم مسيحيين، لنحقق بذلك نصراً يبدو أن العناية الإلهية تعده لنا".

د– الدوافع الاجتماعية:

– تزايد أعداد سكان فرنسا الذي وصل سنة 1830م إلى 33 مليون نسمة، وما يصحب ذلك من الازدياد المطالب والاحتياجات التي شكلت عبئ على الحكومة الفرنسية وهو مادفعها إلى محاولة البحث عن أراضي ومجالات جغرافية جغرافية جديدة لإسكان بعضهم.

ثانيا: السبب المباشر(الذريعة)

– أما السبب الذي اتخذته فرنسا ذريعة لاحتلال الجزائر فهو حادثة المروحة، فقد جرت العادة أن يقوم قناصل الدول الأوروبية المُعتمدون بالجزائر عشية عيد الفطر بزيارة إكرام وتهنئة الداي بتلك المناسبة.

– وفي أمسية عيد فطر سنة 1827، أبدى الداي حسين للقنصل الفرنسي دوفال امتعاضه من تماطل الحكومة الفرنسية بتسديد ديونها للجزائر، واشتكى من عدم اكتراث الملك شارل العاشر وحكومته بالردّ على رسائله واستفساراته المتكررة بهذا الشأن، فكان رد القنصل وقحاً، قائلا للداي: " إن حكومتي لا تتنازل لإجابة رجل مثلكم."

– وتمادى القنصل في استفزازاته وسوء أدبه.. وتشعب النقاش بين الرجلين إلى موضوع السيادة على البحر المتوسط، فاشتد غضب الداي من هذه التجاوزات بمحضر أركان دولته، وضرب القنصل بمروحته وتلا ذلك مهاجمة وتدمير المراكز والمستودعات الفرنسية بالقالة.

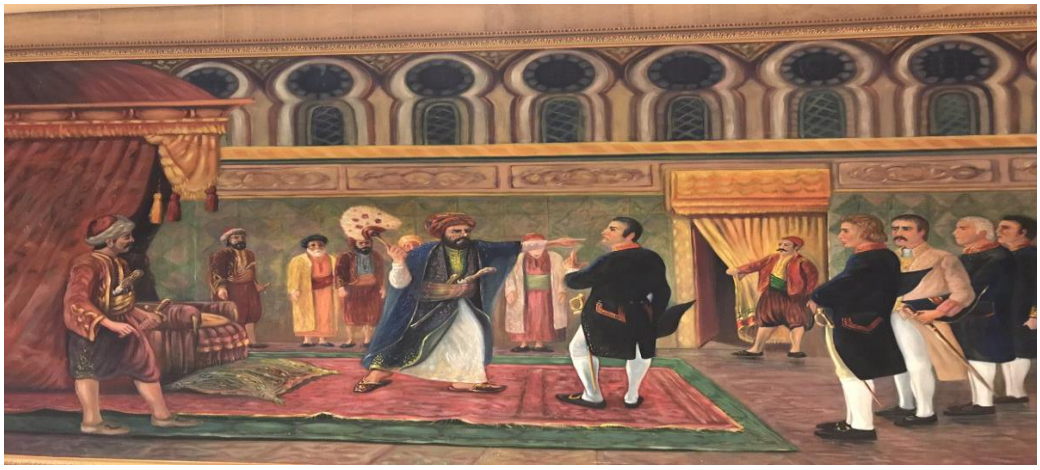

ملحق رقم1: رسمة توضيحية لحادثة المروحة بين الداي حسين والقنصل الفرنسي دوفال

– اعتبرت فرنسا حادثة المروحة إهانة لا يمكن السكوت عنها، فطالبت الداي باعتذار فيه إذلال كبير للجزائر، نص خاصة على: تقديم اعتذار رسمي من الداي حسين عما حصل للقنصل دو فال، ورفع العلم الفرنسي على قصر الداي وأبراج وحصون مدينة الجزائر، وإطلاق 100 طلقة مدفعية لتحيته .

– رفض الداي الاعتذار، فتصاعدت حدة توتر العلاقات بين الدولتين، وعمدت فرنسا إلى فرض حصار بحري على مدينة الجزائر ابتداء من 16 يونيو 1827، بدعوى الانتقام للإهانة المزعومة.

– وفي يوم 31 يناير 1830 قررت الحكومة الفرنسية غزو الجزائر بنفسها، وأقر الملك ذلك بمرسوم 7فبراير، ثم قامت بحل مجلس النواب المعارض في 16 مايو 1830، تمهيداً لانطلاق الحملة دون عراقيل.

ثالثا: سير عمليات الغزو

– انطلقت الحملة الفرنسية من ميناء طولون يوم 25 ماي 1830 بقيادة وزير الحرب المارشال دوبورمون، وضمت 37 ألف جندي، و154 مدفع ميدان وحصار زيادة على مدافع الأسطول التي كانت تحملها أكثر من 675 سفينة.

– نزلت القوات الفرنسية بميناء سيدي فرج بتاريخ 14 جوان 1830بقيادة الجنرال دي بورمون على رأس جيش افريقيا الفرنسي، وقد تم التخطيط لاقتحام قلعة مدينة الجزائر من الجهة الخلفية .

– قبل رسو الأسطول قامت السفن بإطلاق القذائف على مئذنة مسجد سيدي فرج فدمرتها، ونزل الجنرال بيرتوزان مع الفرقة الأولى للمشاة بميناء سيدي فرج.

– قدم الفرنسيون نحو شبه جزيرة سيدي فرج الواقعة غربي مدينة الجزائر معتمدين على دراساتهم وخطط جواسيسهم بان تلك المنطقة هي الأضعف، واستحوذوا على البرج التركي وقد قاموا بالقضاء على فرقة من حراس الساحل العاصمي.

– قام الداي حسين بجمع جيش من الجنود الإنكشاريين، كما قام باستقدام فيالق من دار السلطان ومن بايلكات الشرق والغرب والتيطري .

– وضعت هذه تحت قيادة "الآغا إبراهيم" بتعداد بلغ ما بين 30,000 و50,000 جندي، وغالبهم لم يكن مهيا أحسن تهيأة لمقاتلة الفرنسيين المدعمين بالأسلحة.

– قام الداي حسين بأمر باي قسنطينة لتحصين ميناء عناية، كما أمر بإحصاء عمال مدينة الجزائر وارسالهم للدفاع عن قلاعها .

– من الأخطاء التي ارتكبت حسب المؤرخين هو أنه تم ترك القوات الجزائرية التي أتت من الشرق والغرب والوسط خارج المدينة اعتقادا من الداي حسين أن القصبة يمكن أن تصمد أمام الفرنسيين لسنوات، لذلك لم يدعم معسكرات الجند إلا بعدد قليل من الرجال .

– إسناد القيادة لصهره المعروف باسم إبراهيم آغا والذي لم يكن على قدر المسؤولية، حيث ارتكب أخطاء قاتلة أهمها أنه رفض خطة أحمد باي التي نصت على استدراج الفرنسيين خارج العاصمة، ومن ثم الالتفاف ومحاصرة الجيش الفرنسي وقطع طريق العودة إلى الميناء والسفن التي جاءوا فيها، كما أنه لم يُعد الدفاعات الكافية عند سيدي فرج ولم يحاول التحدي بحزم للفرنسيين حال نزولهم إلى البر وغيرها من الأخطاء.

– لم تكن استعدادات مدينة الجزائر كما سطر لها من قبل، ويوم نزل الفرنسيون بسيدي فرج لم يكن هناك مدافع تحمي المدينة ولا خنادق كما تم الاتفاق عليه.

– في ظل غياب خطة عسكرية محكمة نجح الفرنسيون في الاستيلاء على سيدي فرج، وانتصروا على قوات الداي حسين في معركة اسطاوالي 19 جوان 1830م.

– عقب انهزام القوات الجزائرية أرسل الداي حسين إلى دي بورمون عارضا عليه الصلح، والتنازل على ديون فرنسا والدفع نقدا كتعويض عن الاعتذار الذي يقدمه، وإعطاء كل الامتيازات للتجارة الفرنسية، وتعويض جميع نفقات الحملة

– رفض القائد الفرنسي دي بورمون واشترط استسلام الداي حسين وتسليم الجزائر العاصمة، وعرض عليه وثيقة عن طريق مبعوثه تتضـمن مجموعة من الشـروط ليمضـي عليها يطلق عليها المؤرخون معاهدة الاسـتسـلام وذلك يوم 5 جويلية 1830 وقد جاء فيها ما يلي:

1–تسلم قلعة القصبة وكل القلاع الأخرى المتصلة بالمدينة وميناء هذه المدينة إلى الجيش الفرنسي هذا الصباح على الساعة العاشرة.

1–يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي أمام سعادة باشا الجزائر أن يترك له الحرية وكل ثرواته الشخصية.

2–سيكون الباشـا حرا في أن يذهب هو وأسرته وثرواته الخاصـة إلى المكان الذي يقع عليه اختياره فإذا فضـل البقاء في الجزائر فله ذلك هو وأسرته تحت حماية القائد العام للجيش الفرنسي

4– يتعهد القائد العام لكل الجنود الإنكشاريين بنفس المعاملة ونفس الحماية.

5– سيظل العمل بالدين الإسلامي حرا، كما أن حرية السكان مهما كانت طبقتهم ودينهم وأملاكهم وتجارتهم وصناعته لن يلحقها أي ضرر وستكون نساؤهم محل احترام، وقد التزم القائد العام على ذلك بشرفه .

6– سـيتم تبادل وثائق هذا الاتفاق قبل السـاعة العاشـرة هذا الصـباح وسـيدخل الجيش الفرنسـي حالا بعد ذلك إلى القصبة ثم يدخل كل القلاع التي حول المدينة كما يدخل الميناء.

ANNÉE 1830.

COMMAND^{t}. DU LIEUTENANT-GÉNÉRAL BOURMONT (1).—JUILLET.

5 *Juillet* 1830. — *Convention entre le général en chef de l'Armée française et Son Altesse le dey d'Alger.*

Le fort de la Casbah, tous les autres forts qui dépendent d'Alger, et le port de cette ville, seront remis aux troupes françaises ce matin, à dix heures (heure française).

Le général en chef de l'Armée française s'engage envers Son Altesse le dey d'Alger à lui laisser sa liberté et la possession de toutes ses richesses personnelles.

Le dey sera libre de se retirer avec sa famille et ses richesses particulières dans le lieu qu'il fixera ; et tant qu'il restera à Alger, il y sera, lui et sa famille, sous la protection du général en chef de l'Armée française. Une garde garantira la sûreté de sa personne et celle de sa famille.

Le général en chef assure à tous les soldats de la milice les mêmes avantages et la même protection.

L'exercice de la religion mahométane restera libre. La liberté des habitants de toutes les classes, leur religion, leurs propriétés, leur commerce et leur industrie, ne recevront aucune atteinte. Leurs femmes seront respectées.

Le général en chef en prend l'engagement sur l'honneur.

L'échange de cette convention sera fait avant dix heures, ce matin, et les troupes françaises entreront aussitôt après dans la Casbah, et successivement dans tous les forts de la ville et de la marine.

Au camp devant Alger, le 5 juillet 1830.

HUSSEIN PACHA (2). Cte de BOURMONT.

ملحق2: وثيقة استسلام الداي حسين وتسليمه مدينة الجزائر في 5جويلية 1830م.